أثر الآداب الأجنبية
فى الأدب الفرنسى
للأستاذ صلاح الدين المنجد

إن لامتزاج الآداب بعضها ببعض ، أثراً بالغاً فى ازدهارها ونموها ، لما فى ذلك من لقاح مثمر وإحياء باهر ، ولما تكتسبه من أناقة فى العرض ، وطرافة فى التصوير ، وبراعة فى الخيال ، ورهافة فى الذوق

ولعل ازدهار الأدب العربى فى العصر العباسى آية على فائدة اللقاح فى الأدب وطيب جناه ، فقد حليت نغماته ، وطرفت ألوانه ، وتدفقت الحياة فى صوره وتهاويله ، وخرج من الجمود إلى الحركة ، ومن القيود إلى الانطلاق

وقد كان الأدب الفرنسى أكثر الآداب تأثراً بالآداب الأجنبية ، ولعل أعظم رائداته كانت من وحى البلدان المجاورة وآدابها . على أن هذا التأثير كان يقتصر على الفكرة ، لا على الشكل فى أكثر الأحايين

بدأت فرنسة تستمد من آداب الأمم المجاورة مادة لأدبها ، منذ أوائل القرن السادس عشر . فقد كان القصاصان « مرغريت دُ ثالوا M. de Valois » و « برانتوم Brantôme » ينهجان نهج « بوكاتشيو » القصصى الإيطالى : حتى إذا كان النصف الثانى من هذا القرن ازداد هذا التأثير واتسع . فأسست طائفة من الأدباء عُرفاً لبعث الأدب الفرنسى سموه Pleiade ورأسهم « رونسار » الشاعر ، وكانوا معجبين بالشاعر الإيطالى « بترارك Pétrarque » ، فتتبعوا أشعاره بالدراسة والترجمة والنشر ، ونهجوا نهجه فى نظمه وأفكاره . وفى الحقبة نفسها ، أى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، قامت فى مدينة « ليون » فى الجنوب ، مدرسة خاصة لتمجيد آراء ذلك الشاعر الإيطالى وتقليد أشعاره

فلما جاء القرن السابع عشر ، عكف « موليير » على المسرح الإيطالى يقتبس منه . وهذا الاقتباس واضح فى روايته L'Etourdi وغيرها . وكان يحتفظ فى أحايين كثيرة ، بالنماذج الإيطالية Types نفسها

وظل تأثير الأدب الإيطالى فى الأدب الفرنسى مستمراً . ففى القرن الثامن عشر ، أولع الأدباء الفرنسيون بالآثار الإيطالية المسرحية « كرينار Regnard » و « لوساج Le Sage » و « ماريفو Marivoux » أما فى الشعر ، فكان بعض المحدثين آنئذ ، يقلدون « تانسيل Tansille » ، ويستقون من « لوتاس Le Tasse »

على أن القرن السابع عشر قد عرف أدباً آخر ، أثّر فى الأدب الفرنسى ؛ وكان ينبوعاً ارتشف منه الاتباعيون مادة لروائعهم ؛ وهو الأدب الإسبانى . فقد عبّ منه كثيرون ومنهم « كورنيل Corneille » فى مأساته « السيد Cid » وأعجب الأدباء الفرنسيون « بلوب دُ فيرجا Lope de Verga و« آلاركون Alarcon »و« تيرسو دُمولينا Tirso de Molina واقتبسوا من آثارهم ، ونقلوا إلى الفرنسية بعضها . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر ؛ فقد اقتبس « لوساج » من المسرح الإسبانى فكرة روايته « الشيطان الأعرج » كما اقتبس «بومارشيه» منه روايته « زواج الفيجارو »

* * *

ثم جاء الأدب الإنجليزى يؤثر فى الأدب الفرنسى . ولم تؤثر أمة فى فرنسة تأثير انجلترا فيها . فقد كان أثرها ظاهراً فى نواحى شتى : فى الأدب ، والفلسفة ، والسياسة ، والأذواق . وكانت ملجأ لكثير من الأدباء الفرنسيين ومنفى . فقد رحل إليها ڤولتير ، ومونتسكيو ، وبوفون ، وروسو ، وشاتوبريان ، ومدام دُستال وغيرهم ؛ فأقاموا فيها وأعجبوا بها . وقد أبان ڤولتير فى « رسائله الإنكليزية Lettres Anglaises » عما أحس به فى تلك البلاد .

— لأنجو من حسابك يا مولاى

— وكيف تنجو من حسابى ، وأنت جان أثيم ؟

— لك الأمر من قبل ومن بعد

— ولهذا أدعوك إلى الوقوف غداً فى ساحة العدل ، فأحضر من تريد من الشهود ، ومن تشاء من المحامين ، ليرتفع اللبس فى تقدير مالك وما عليك

— أنت الشاهد وأنت الوكيل ، فاقض بعدلك ورحمتك ما أنت قاض

— هو ذلك ، ولكنى أريد أن أقيم بنفسى أول محكمة فى الوجود

(للحديث شجون) زكى مبارك

وتكلم ، ما راق له الكلام ، على الدين والفلسفة والأدب والشعر فيها . حتى أنه حاول أن يقتبس من شكسبير بعض مشاهد رواياته . ثم نقلت روايات « ريشاردسون Richardson » و « سويفت Swift » و « دفُو Defoe » فلقيت إعجاباً وأثارت حماسة . ودبت الحياة فى الشعر الفرنسى التعليمى Didactique منذ قرأ الناس « توسون Thomson » و « جراى Gray » . وكان شعر « أوسّيان Ossian » مقدمة للشعر الإبداعى . وأثرت فلسفة « لوك J. Locke » و « هيوم Hume » فى رجال الموسوعة الفرنسية . وأصبح طراز الحكم الإنجليزى مثلاً أعلى عند سياسى فرنسة . فلما شبت الثورة الفرنسية ، انقطع هذا الاتصال ؛ على أنه عاد أشد قوة ، وأعظم شأناً بعدها . وانكب الشعراء الإبداعيون آنئذ على روائع « بيرون Byron » و « شيلّى Schelly » و « شكسبير Shakespeare » يقلدونها مرة ويستوحونها مرات

وما كاد الهرم يدرك القرن الثامن عشر حتى سَرَب الأدب الألمانى إلى فرنسة . وكان لنقد « ليسنغ Lessing » أثر بعيد فيها . ثم جاء « جوته » ونشر « ڤرتر » فألهبت المشاعر والعواطف ؛ وهزت الناس ، فانتحر منهم عدد كثير تقليداً لڤرتر . ثم أخذ الفرنسيون يقلدون « شيلر Schiller » وأخذت فلسفة الألمان تحل محل الفلسفات الأخرى . ولعل أنطق صورة لهذا التأثير كتاب « مدام دستال » عن « ألمانية Allemagne » ، ثم عرّج الناس وأخذوا يتتبعون آثار « جوته » و « شيلر » و « هوفان » و « هنرى هاين »

* * *

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، اتجهت فرنسة نحو الآداب الأسكاندنيافية والروسية ، فقد استهوى الفرنسيين نجاح الروايات الروسية ، كما جذبتهم الروايات الإنجليزية من قبل ، فترجمت روايات « غوغول » و « تورجنيف Tourguenev » و « دستويفسكى Dostoïevski » حتى ألفها وتناقلها ، ونحا بعض الأدباء فى رواياتهم نحوها

على أن هذا التأثير قد اتسع منذ أوائل هذا القرن العشرين ؛ لسرعة المواصلات ، وانتشار المجلات ، وازدهار المؤلفات . وغزت أسواق فرنسة مؤلفات الأمم كلها . فكيبلنغ ودانونزيو ، وسلمى لاجرلوف ، وبرنارد شو ، وأوسكار وايلد ، أثروا فى الكتاب المعاصرين وإن لم تظهر آثار هذا التقليد واضحة بعد .

وكذلك بدأت مؤلفات الكتاب العرب تظهر بالفرنسية أيضاً . فقد نقلت لها أعظم آثار الأستاذين توفيق الحكيم ومحمود تيمور ، وبعض آثار الأستاذ الدكتور طه حسين وبعض مقالات للأستاذ الرافعى

أما فى القرون الخالية فقد كان للشرق العربى أثر فى بعض مؤلفات شعراء فرنسة وكتابها ، كلامارتين ، وبارّيس ، ولوتى ، وريفان ، وجيرار دونرڤال ، والأخوين تارود ، ودورجليس ، وغيرهم ممن زاروا بلاد الشام ومصر وتمتعوا بما فيها من روعة وجمال وسحر ، فوصفوها وخصوها بالكتب . ولا ننس ما كان لكتاب ألف ليلة وليلة الذى نقل إلى الفرنسية منذ قرون ، من أثر وما كان لكتب السياحات والرحلات والعجائب التى نقلت من قبول وتأثير وإعجاب[1]

وهكذا نجد أن الأدب الفرنسى قد استمد كثيراً من آداب الأمم الأخرى ، فكان ذلك من أسباب ازدهاره ونموّه ، ورقته وسموّه

(دمشق) **صدوح الدين المجد**

(١) سنعود فنبين أثر الشرق فى الأدب الفرنسى بعد قريب

اعلان
وزارة الزراعة

تقبل العطاءات بادارة المخازن والمشتريات بالدقى لغاية ظهر يوم ٢٩ ابريل سنة ١٩٤٢ عن توريد (١) زجاجات فارغة (٢) أقفاص جريد (٣) سبلة وزبل حمام وسماد بلدى لأقسام الوزارة . ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من الادارة المذكورة يوميا ما عدا العطلات الرسمية مقابل دفع مبلغ ٣٠ مليما بخلاف ٢٠ مليما أجرة البريد وذلك عن كل مناقصة . ٩٢٠٤